

## خطبة الجمعة معجزة الإسراء والمعراج

إن الحمد لله، ونستغفره ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهّد الله فلا مضلّ له ومن يضلّل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله من بعثه الله رحمةً للعالمين هادياً ومبشراً ونذيراً. بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة فجزاه الله خيراً ما جزى نبياً من أنبيائه. صلوات الله وسلامه عليه وعلى كلّ رسول أرسله. أما بعد، عباد الله أوصيكم ونفسي بقوى الله العليّ العظيم. يقول الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (سورة الإسراء/1).

## ذكرى معجزة الإسراء والمعراج

إعتاد المسلمون إحياء ذكرى معجزة الإسراء والمعراج التي حصلت في السابع والعشرين من رجب.

ليلة السابع والعشرين من رجب 1444 تكون بين الجمعة 17 والسبت 18-2-2023

إخوة الإيمان، إن الإسراء والمعراج من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم. أما الإسراء فثبت بنص القرآن والحديث الصحيح، فيجب الإيمان بأنه صلى الله عليه وسلم أسرى الله به ليلاً من مكة إلى المسجد الأقصى. وقد جاء في تفسير الآية ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ السُّبْحُ فِي اللَّعَةِ النَّبَاغُذُ ومعنى سَبَّحَ اللهُ تَعَالَى أَي بَعَدَهُ وَنَزَّهَهُ عَمَّا لَا يَنْبَغِي. وقوله ﴿بِعَبْدِهِ﴾ أي بِمَحَمَّدٍ. ونسبة النبي إلى ربه بوصف العبودية غاية الشرف للرسول لأنَّ عِبَادَ اللهِ كَثِيرٌ فَلِمَ خَصَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِالذِّكْرِ ؟ ذلك لتخصيصه بالشرف الأعظم.

والمقصود من المعراج هو تشريف الرسول بأطّاعه على عجائب العالم العلوي. أما الله تعالى فهو موجود بلا مكان ولا يجري عليه زمان، لا يسكن سماء ولا أرضاً، بل هو خالق السماء والأرض والعرش والكرسي ولا يحتاج إلي شيء من خلقه، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [سورة الشورى آية 11]. يقول الإمام علي رضي الله عنه: « كَانَ اللهُ وَلَا مَكَانَ وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ ». ويقول أيضاً في تنزيهه عن الجلوس: « إِنَّ اللهُ خَلَقَ الْعَرْشَ إِطْهَارًا لِقُدْرَتِهِ وَلَمْ يَتَّخِذْهُ مَكَانًا لِذَاتِهِ ». رواه أبو منصور البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق.

ومن نسب المكان أو الجهة لله لا يكون مسلماً، وعليه الرجوع للإسلام بالنطق بالشهادتين مع ترك الاعتقاد الفاسد.

وقوله تعالى ﴿لَيْلًا﴾ إنما قال ﴿لَيْلًا﴾ مع أنَّ الإسراء لا يكون إلا في الليل لأنه أراد به تأكيداً لتقليل مدة الإسراء فإنه أسرى به في بعض الليل من مكة إلى الشام.

وقوله تعالى ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ إنما سُمِّيَ المسجد الحرام لحُرْمَتِهِ أَي لَشَرَفِهِ عَلَى سَائِرِ الْمَسَاجِدِ لِأَنَّهُ خُصَّ بِأَحْكَامٍ لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ. والمسجد الأقصى إنما سُمِّيَ بِذَلِكَ لِتَبْعِدِ الْمَسَافَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.

وقوله تعالى ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ قيل لأنه مقرّ الأنبياء ومهبط الملائكة، لذلك قال إبراهيم عليه السلام ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ أي إلى حيث وجهي ربي أي إلى بَرِّ الشَّامِ لِأَنَّهُ عَرَفَ بِتَعْرِيفِ اللهِ إِيَّاهُ أَنَّ الشَّامَ مَهْبِطُ الرَّحْمَاتِ وَأَنَّ أَكْثَرَ الْوَحْيِ يَكُونُ بِالشَّامِ وَأَنَّ أَكْثَرَ الْأَنْبِيَاءِ كَانُوا بِهَا.

قال تعالى ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ أي ما رأى تلك الليلة من العجائب والآيات التي تُدُلُّ على قدرة الله.

إخوة الإيمان، لقد أجمع أهل الحق على أن الإسراء كان بالروح والجسد وفي اليقظة ومن أنكروه فقد كذب القرآن.

وقد كانت تلك المعجزة العظيمة في السنة الخامسة قبل الهجرة ليلة السابع والعشرين من شهر رجب، فقد جاءه جبريل ليلاً إلى مكة وهو نائم ففتح سقفت بيته ولم يهبط عليهم لا تراب ولا حجر ولا شيء وكان النبي حينها في بيت بنت عمه أم هانئ بنت أبي طالب أخت علي بن أبي طالب في حي اسمه أجباد، كان هو وعمه حمزة وجعفر بن أبي طالب نائمين والرسول كان نائماً بينهما فأيقظه جبريل ثم أركبه على البراق خلفه وانطلق به والبراق دابة من دواب الجنة وهو أبيض طويل يضغ حافره حيث يصل نظرته ولما يأتي على ارتفاع تطول رجلاه ولما يأتي على انخفاض تقصُر رجلاه، وانطلق به البراق حتى وصلا عند الكعبة حيث شق صدره من غير أن يُحسّ بالأم ثم أعيد كما كان وذلك بعد أن غُسل قلبه وملى إيمانا وحكمة وكل هذا إعداداً للأمر العظيم الذي يستقبله، ثم انطلقا حتى وصلا إلى أرض المدينة فقال له جبريل " انزل " فنزل فقال له " صل ركعتين " فصلى ركعتين، ثم انطلق فوصل به إلى بلد اسمها مدين وهي بلد نبي الله شعيب فقال له انزل فصل ركعتين ففعل ثم صلى بطور سيناء حيث كلم الله عز وجل موسى عليه السلام.

الله تبارك وتعالى مُتكلّم بكلام أزلي أبدي لا يُشبهه كلام المخلوقين ليس لكلامه ابتداء، ليس له انتهاء، لا يطرا عليه سُكوت أو تقطع لأنه ليس حرفاً ولا صوتاً ولا لغةً وأما كلام المخلوقين فهو بحرفٍ وصوتٍ وبالآلات. قال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ۝ ﴾، أي أسمع الله موسى كلامه الأزلي الأبدى الذي ليس بحرفٍ ولا صوتٍ. أزال الله المانع عن سمع موسى، فسمع كلام الله من غير أن يحل الكلام الأزلي في أذن موسى، فموسى عليه السلام حادثٌ وسمعُه مخلوقٌ وأما مسموعُه وهو كلام الله فليس بحادثٍ. قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه: « ويتكلم لا ككلامنا ، نحن نتكلم بالآلات من المخارج والحروف والله متكلم بلا آلة ولا حرف ».

ثم صلى النبي في بيت لحم حيث ولد عيسى ابن مريم عليه السلام.

ثم أتى بيت المقدس فربط البراق بالحلقة التي يربط بها الأنبياء ثم دخل المسجد الأقصى فصلى فيه ركعتين.

وصلى بالأنبياء إماماً، الله جمعه له هناك كلهم تشريفاً له، ولما خرج جاءه جبريل عليه السلام بإناء من خمر الجنة لا يسكر وإناء من لبن فاختار النبي اللبن فقال له جبريل " اخترت الفطرة " أي تمسكت بالدين.

ومن عجائب ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسراء ما رواه الطبراني والبراز من أنه رأى المجاهدين في سبيل الله وكيف كان حالهم ورأى تاركي الصلاة وكيف كان حالهم والذين لا يؤدون الزكاة وكيف كان حالهم والزناة وكيف كان حالهم والذين لا يؤدون الأمانة وكيف كان حالهم وخطباء الفتنة وقد راهم تُقصُ السننهم بمقصاتٍ من نارٍ وما أكثرهم في أيامنا هذه.

ورأى الذين يتكلمون بالكلمة الفاسدة وما أكثرهم في أيامنا هذه، ورأى إبليس ورأى الدنيا بصورة عجزٍ.

ورأى اكلية الربا وكيف كان حالهم ورأى اكلية أموال اليتامى وكيف كان حالهم ورأى شارب الخمر وكيف كان حالهم، والذين يمشون بالغيبية وكيف كان حالهم ثم شم رائحة طيبة من قبر ماشطة بنت فرعون وكانت مؤمنة صالحة وجاء في قصتها أنها بينما كانت تمشط رأس بنت فرعون سقط المشط من يدها فقالت " بسم الله " فسألته بنت فرعون " أو لك رب إله غير أبي " فقالت الماشطة " ربي ورب أبيك هو الله " فقالت " أخبرني " قالت " أخبرني " فأخبرته فطلب منها الرجوع عن دينها فأبى فحمى لها ماء حتى صار شديد الحرارة مُتناهياً في الحرارة فألقى فيه أولادها واحداً بعد واحد ثم لما جاء الدور إلى طفلٍ كانت تُرضعه تقاعست أي صار فيها كأنها تترجج ازداد خوفها وانزعاجها وقلقه فأنطق الله

تعالى الرضيع فقال " يا أمّاه اصبري فإنّ عذاب الآخرة أشدّ من عذاب الدنيا فلا تتفاسعي فإنّك على الحقّ ". فتجالدت فرمى الطفل فقالت لفرعون " لي عندك طلب أن تجمع العظام وتدفيها " فقال " لك ذلك " ثم ألقاها فيه .

ثم نُصِبَ المعراج والمعراج مِرْقاةُ شِبْهِ السَّلْمِ درجةً من ذهبٍ والأخرى من فضةٍ وهكذا فَعَرَجَ بها النبيُّ إلى السماء وأما المعراجُ فقد ثبت بنصِّ الأحاديثِ وأما القُرءانُ فلم يُنصَّ عليه نصّاً صريحاً لا يحتمل تأويلاً لكنّه وردَ فيه ما يكادُ يكون صريحاً وهو قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ رَأَهُ نَزَلَتْهُ أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾ (سورة النجم/14-15-16).

ثم صَعِدَ به جبريلُ حتى انتهيا إلى السماء الأولى، وفي السماء الأولى رأى آدمَ وفي الثانية رأى عيسى ويحيى وفي الثالثة رأى يوسفَ. قال عليه الصلاة والسلامُ « وكان يوسفُ أُعْطِيَ شَطْرَ الحُسْنِ » يعني نصفت جمال البشر الذي وُرِعَ بينهم وفي الرابعة رأى إدريسَ وفي الخامسة رأى هارونَ وفي السادسة رأى موسى وفي السابعة رأى إبراهيمَ وكان أشبهَ الأنبياءِ بسيدنا محمد من حيث الخلقُ وراه مُسْتَدِداً ظهره إلى البيت المعمور الذي يدخله كلُّ يومٍ سبعون ألفَ ملكٍ ثم لا يغودون إليه.

ثم ذهب برسول الله إلى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وهي شجرةٌ عظيمةٌ وبها من الحُسْنِ ما لا يستطيع أحدٌ من خلق الله أن يصفه وجردها يغشاها فرائشٌ من ذهبٍ وأوراقها كأذانِ الفيلةِ وثمارها كالقلالِ والقلالُ جمعُ قَلَّةٍ وهي الجرّةُ وهذه الشجرةُ أصلها في السماء السادسة وتمتدُّ إلى السابعة ثم سارَ سيدنا محمد وحده حتى وصلَ إلى مكانٍ يسمَعُ فيه صريفُ الأقلامِ التي تنسخُ بها الملائكةُ في صُحُفها من اللوحِ المحفوظِ ثم هناك أزالَ اللهُ عنه الحجابَ الذي يَمْنَعُ من سَماعِ كلامِ الله الذي ليس حرفاً ولا صوتاً، وأسمعه كلامه.

ثم هناك أيضاً أزالَ عن قلبه الحجابَ فرأى اللهُ تعالى بقلبه أي جعلَ اللهُ له قوّةَ الرُؤيةِ والنظَرِ بقلبه، فرأى اللهُ بقلبه ولم يره بعيني رأسه لأنَّ اللهُ لا يُرى بالعينِ الفانيّةِ في الدنيا وإنما يُرى بالعينِ الباقيّةِ في الآخرة كما نصَّ على ذلك الإمامُ مالكٌ رضي اللهُ عنه.

ولو كان يراه أحدٌ بالعينِ في الدنيا كان رءاه سيدنا محمد، لذلك قال عليه الصلاة والسلامُ: « واعلموا أنّكم لن تروا ربكم حتى تموتوا ». أنظر: رؤية الله بلا كيف ولا مكان ولا جهة في الجنة أعظم نعيم للمسلمين

ثم إنَّ نبينا لما رجَعَ من ذلك المكان كان من جملة ما فهمه من كلامِ الله الأزليّ أنّه فُرضَ عليه خمسون صلاةً ثم رجع فوجد موسى في السماء السادسة فقال له "ماذا فرضَ اللهُ على أمّتك" قال: " خمسين صلاةً " قال "ارجع وسل التخفيف" أي ارجع إلى حيث كنتَ وسلّ ربك التخفيفَ فإني جرّبتُ بني إسرائيلَ فُرضَ عليهم صلاتان فلم يؤموا بهما" فرجع فطلبَ التخفيفَ مرّةً بعد مرّةٍ إلى أن صاروا خمسَ صلواتٍ. وهذا فيه دليلٌ على أن الأنبياءَ ينفعون بعد موتهم.

قال الشيخ الصّاوي المالكي (1241-1775) في كتابه حاشية الصّاوي على تفسير الجلالين: « قوله "قال فرجعت إلى ربي" أي إلى المكان الذي ناجيت فيه ربي وليس المراد أنّ الله في ذلك المكان ورجع له فإنّ اعتقاد ذلك كُفْرٌ ». أنظر: كيف يحافظ المسلم على إيمانه: إجتنب الوقوع في الرذّة والكُفْر.

وليعلم أنّ المقصودَ بقوله تعالى ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ جبريلُ عليه السلام حيثُ رءاه الرسولُ وله سِتْمَانَةَ جَنَاحٍ سَادًّا عَظْمَ خَلْقِهِ ما بينَ الأفقِ، فإنَّ جبريلَ اقتربَ من سيدنا محمدٍ فكان ما بينهما من المسافة بمقدار ذراعين بل أقرب.

ولا يجوز تفسير الآية بأن محمداً دنا من الله لأن الله موجود بلا مكان ولا أحد قريب منه بالمسافة. أنظر: الله موجود بلا كيف ولا مكان.

ثم إن الرسول لما رجع أخبر قومه بما حصل معه فقالوا له "من هنا إلى هناك مسيرة شهر" وكان فيهم من يعرف بيت المقدس فقالوا له "كم باباً ببيت المقدس" كان هو بالليل ما تأكد عدد الأبواب تضابق ثم كشف الله له فأراه فصار يعد لهم وهو ينظر إلى الأبواب واحداً واحداً فسكتوا، ثم أبو بكر قيل له "صاحبك يدعي أنه أسري به" قال "إنه صادق في ذلك. عن خبر السماء أنا أصدقه فكيف لا أصدقه عن خبر الأرض".

إخوة الإيمان، إن الواحد ممّا ينبغي له أن يعمل لأخريته وكأنه سيموت غداً وينبغي له في كل أيامه أن يذكر الموت وأنه قريب حتى لا يغفل فينجر إلى ما لا يرضي الله خصوصاً وأن كثيراً من الناس تزداد غفلتهم في هذه الأيام فيغرفون في المعاصي والمُنكرات بدلاً من أن يعتبروا ويقولوا قد مضى من عُمرنا كذا وكذا من السنين فماذا أعدنا ليوم المعاد ومن أخطأنا معه لنستسمحه، وكان بعضهم لم يسمع بجهنم وما أوعده الله به أهلها.

النار أي جهنم يا عباد الله حق فيجب الإيمان بها وبأنها مخلوقة الآن وقد أوقد عليها ألف سنة حتى احمرت وألف سنة حتى ابيضت وألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة. وقد جعل الله فيها عقاب كالبعال وحيات الحبة الواجدة كالوادي وجعل طعام أهلها من ضريع وهو شجر كرية المنظر كرية الطعم وجعل شراب أهلها من الماء الحار المنتهي الحرارة الذي تنقطع منه أعمارهم وجعل ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام وذلك ليزداد الكافر عذاباً. فهل من معتبر؟!